

أضواء البيان

@ 216 @ دونه إلهاء فقد قلنا شططا . قوله تعالى : { هَآؤُلَآءِ قَوِّمُونَا اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْ لَا يَأْتُوا تُونِ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ } . (لولا) في هذه الآية الكريمة للتحضيض ، وهو الطلب بحث وشدة . والمراد بهذا الطلب التعجيز ، لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسلطان بين على جواز عبادة غير الله تعالى . والمراد بالسلطان البين : الحجة الواضحة . .

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة : من تعجيزهم عن الإتيان بحجة على شركهم وكفرهم وإبطال حجة المشركين على شركهم جاء موضحاً في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخَرِّجُوهُ لَدُنَّا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّالِمِينَ وَالْإِنِّ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } ، وقوله تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْإِسْرِضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اذْهَبُوا بَكِتَابِ مِّن قَبْلِ هَآذِهِ أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ، وقوله تعالى منكرًا عليهم : { أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ } ، وقوله جل وعلا : { أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ } ، وقوله تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْإِسْرِضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُكُمُ الْإِنَّمُوتُ بِعِصْمَةٍ ثُمَّ يَنْقُضُهَا عَنكُمْ وَإِلَآءِ غُرُورًا } ، وقوله تعالى : { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّ زَنَّهُ لَآ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } ، والآيات الدالة على أن المشركين لا مستند لهم في شركهم إلا تقليد آبائهم الصالين كثيرة جداً وقوله في هذه الآية الكريمة (هؤلاء) مبتدأ ، و (قوما) قيل عطف بيان ، والخبر جملة (اتخذوا) وقيل (قومنا) خبر المبتدأ ، وجملة (اتخذوا) في محل حال . والأول أظهر ، والله تعالى أعلم . قوله تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَصْحَابُ الْكَهْفِ } ، كما قال عنهم أصحاب الكهف { هَآؤُلَآءِ قَوِّمُونَا اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً } . . وهذا المعنى الذي ذكره هنا من أن افتراء الكذب على الله يجعل الشركاء له هو أعظم

الظلم جاء مبيناً في آيات كثيرة ، كقوله : { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى
اللَّهِ وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ } ، وقوله : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ لَأَنَّهُ